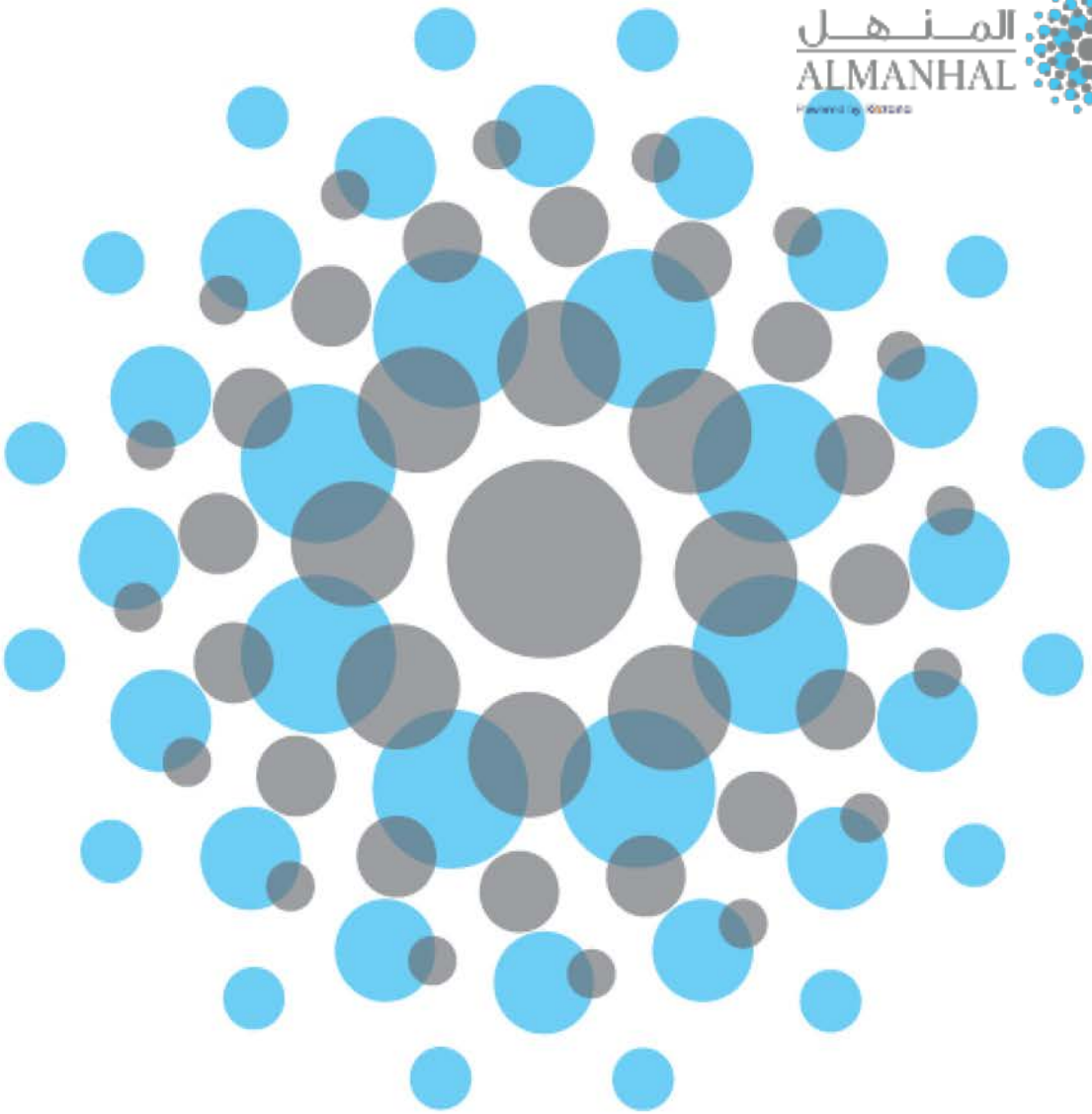

COVER NOT AVAILABLE

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في
أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under
applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في
أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

المنهل
ALMANHAL

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية.. دراسة تأويلية في التَّحولات الفكرية
وعلاقتها بالبنية الفنية في شعر محمود درويش

د. إسماعيل محمود محمد إحطوب (أبو حطب)

الطبعة الأولى 2023

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد

الآن ناشرون وموزعون
المدير العام: د. باسم الزعبي

تصميم الغلاف: م. سجود العناسوة.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو
نقله بأيّ شكل من الأشكال،
دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

ISBN: 978-9923-13-635-5

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2023/6/3237)

بيانات الفهرس الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	محمود درويش من الغنائية إلى الكونية: دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في شعر محمود درويش
تأليف	احطوب، إسماعيل محمود محمد
بيانات النشر	عمان: الآن ناشرون وموزعون، 2023
رقم التصنيف	811.9
الواصفات	الشعر العربي//الدراسات الفنية//الأدب العربي/
الطبعة	الأولى

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في ... أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

د. إسماعيل أبو حطب

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية

دراسة تأويلية في التَّحولات الفكرية

وعلاقتها بالبنية الفنية في شعر محمود درويش

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في
أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

فهرس المحتويات

شكر وتقدير 9

تقديم/ أ. د. نايف خالد العجلوني 11

المقدمة 13

الفصل الأول: محمود درويش من الغنائية إلى الدرامية.. قصيدة «تلك صورتها وهذا انتحار العاشق» أنموذجاً 15

المبحث الأول: محمود درويش من القصيدة الغنائية إلى القصيدة الدرامية الطويلة 17

المبحث الثاني: البناء الدرامي لديوان «تلك صورتها وهذا انتحار العاشق» 24

أولاً: نظرة تصوُّرية شمولية لديوان «تلك صورتها وهذا انتحار العاشق» 24

ثانياً: البناء الفنّي 30

تحولات المكان في ديوان «تلك صورتها وهذا انتحار العاشق» 1975م 31

تحولات المكان (المرأة /الأرض) 36

البنية الفلسفية في قصيدة «تلك صورتها وهذا انتحار العاشق» 38

النزعة الصوفية 38

الفلسفة الماركسية 40

الحدث (الانتحار) 46

الفصل الثاني: محمود درويش والتجربة الملحمية (الغنائية الجديدة) 49

المبحث الأول: قصيدة «حجر كنعاني في البحر الميت» 51

أولاً: تحليل القصيدة مضمونيّاً 51

أ- توطئة 51

ب - تعريف الملحمة 53

ت- البناء المضموني العام 54

ثانياً: البناء والأسلوبي والإيقاعي 66

أ- البناء الأسلوبي 66

ب- البناء الإيقاعي 79

ثالثاً: المرجعيات الثقافية 83

أ. عنوان القصيدة «حجر كنعاني في البحر الميّت» 83

ب. مرجعية الرموز الدينية والتاريخية والأسطورية في القصيدة 86

المبحث الثاني: تأصيل الكينونة والملحمية في ديوان «لماذا تركت الحصان وحيدا 1995م» 93

أولاً: سؤال الهوية وتحقيق الكينونة الفلسطينية 93

ثانياً: الالتزام وتحقيق الكينونة الشعرية 96

ثالثاً: تأصيل الكينونة والخوف على هوية المكان 99

رابعاً: تقنيات محمود درويش الفنِّيَّة للتأصيل 104

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

أ- تقنية الاسترجاع الزمني والعودة الباشلارية إلى المكان القديم 104
ب- الشّبح 109
ت- تقنية السرد 113
ث- الحوار الجدلي والمحاكمة المسرحية 118
ث- استدرار التراث الفلسطيني والمشرقي 121
ج- التناص التاريخي والتأصيل 126
الفصل الثالث: النزعات الفكرية والفلسفية في شعر محمود درويش 133
المبحث الأول: النزعة الصوفية 135
توطئة 135
أولاً: إرهاصات الفكرة الصوفية في قصائد ما قبل «الهدهد» 141
ثانياً: محمود درويش والتجربة الصوفية الناضجة في قصيدة «الهدهد» من ديوان «أرى ما أريد»1991م 146
توطئة 146
أ- محمود درويش وكتاب «منطق الطّير» لفريد العطّار513هـ 149
2. محمود درويش بين السماء والأرض 161
ثالثاً: الصوفية بعد قصيدة «الهدهد» 175
أ- الصوفية في «جدارية» 175
ب- المرآة الصوفية وتأملات محمود درويش 179
ت- محمود درويش في مرآة اللفظ والمعنى 184
ث- تقويض الصوفية لدى محمود درويش 188
ج- الصوفية في قصيدة «في القدس» الرؤى العلوية 192
المبحث الثاني: النزعة الإنسانية الشمولية وتحولاتها في شعر محمود درويش 195
أولاً: قراءة محمود للعدو من الداخل قراءة إنسانية 196
ثانياً: وحدة المصير الإنساني 198
ثالثاً. قراءة القصيدة وقراءة خطبة سياتيل دواميش 199
رابعاً: المشاعر الإنسانية الخالصة نحو الحيوان 209
خامساً: تحولات المرأة والنزعة الإنسانية تجاهها 210
الخاتمة 219
المصادر والمراجع العربية 223

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

إلى أستاذة الزمان وربّة الفلسفة والرياضيات

هيباتيا السكندرية

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

شكر وتقدير

يطيب لي أن أتقدم بجزيل الشكر، ووافر العرفان إلى معلمي في الأدب والنقد، الدكتور نايف خالد العجلوني، أستاذ النقد والشِّعر الحديث، رداً وعرفاناً له بالجميل، لسنوات طويلة خلت تتلمذت فيها على يديه، فكان خير مرشد، ولملاحظاته وتوجيهاته الأثر الكبير في توجيه شخصيتي الثقافية والنقدية، ولا يفوتني أن أشكر جلَّة الأساتذة في قسم اللغة العربية في جامعة اليرموك وأخص منهم الدكتور حامد كسَّاب العيسى والدكتورة أمل طاهر نصير، راجيا من الله عزَّ وجل التوفيق والصحة والعافية لهم جميعاً.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في
أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

تقديم

أ. د. نايف خالد العجلوني

يشتبك الدكتور إسماعيل إحطوب، في هذا الكتاب، مع موضوع صعب ونصوص شعرية مركَّبة تتأبَّى على أي قراءة أحادية نهائية لتجربة محمود درويش، وهو موضوع جَدلي وَعِرٌ أيضاً لكثرة ما دار حول هذا الشعر من أبحاث ودراسات جادّة. وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تصدَّت للجوانب المختلفة في شعر درويش، فإنَّ الدكتور إحطوب يشقُّ طريقه الخاصة بين هذه الدراسات ويفسح لنفسه حيِّزاً خاصاً.

ومن أجل تبيان المعالم البارزة في تحولات درويش وربطها على نحو وثيق مع التحولات الفنيَّة، فإنَّ المؤلف يشتبك - عبر حفريات تفكيكية وتحليلية وتأويلية- مع مرجعيات الشاعر الثقافية في إطارها القومي والإنساني الواسع. ومن ثَمَّ فإنَّه يربط هذه المرجعيات مع المرجعيات التاريخية والحياتية والسلوكية المحايثة. وقد مكَّنت هذه الأدوات المنهجية السابرة، التي توفرت للمؤلف عن طريق الحفريات الواسعة في بطون الكتب الأدبية والفلسفية والأسطورية والصوفية، من الغوص في شعر درويش وتقديم تحليلات وقراءات غضة جديدة متميزة.

لقد ألقى المؤلف نظرة بانورامية شاملة على المشهد الدرويشي وتحولاته الفكرية والفنيَّة، ورَبَطَ هذه التحولات بمنابعها ومرجعياتها الأدبية والثقافية والفلسفية والميثولوجية والأنثروبولوجية. ومن اللافت كذلك، في هذه الدراسة المهمة، قدرة المؤلف على التشبيك الدقيق بين شعر درويش وكثير من الأعمال الأدبية والروائية العالمية، مستفيداً - فيما يبدو – من طرائق «التوازي» في مناهج الأدب المقارن. وهي مقارنات تنضوي كثيراً من القيم الفكرية والجمالية الواقعة في دائرة المقارنة.

بكلمات موجزة، يقدِّم كتاب الدكتور إسماعيل إحطوب إضافة نوعية إلى الدراسات العلمية الجادة التي تناولت شعر محمود درويش، ما يفسح الطريق أمام دراسات أخرى.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في
أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

المقدمة

لا شكَّ بأنَّ محمود درويش قد لجأ إلى تقنيات كثيرة لبناء نصوصه الشعرية، فلم يقفْ فيضه عند مرحلة الغنائية أو الدرامية، بل تعدَّاهما إلى مراحل أخرى متنوعة، وأبعد غوراً. ومن الطبيعي للشاعر الذي يبتغي الارتقاء إلى ما لم يصل إليه غيره أنْ يتسلَّح بالمعرفة والاطلاع والثَّقافة، وسوف يقوم الباحث بتتبُّع دواوينه جميعها ورصدِ ما وقع فيها من تطوُّر، بدءاً بالمرحلة الرومانسية الغنائية، ومن ثم الموضوعية الدرامية، ومن ثم الاتجاه نحو الكتابة ذات الطابع الملحميَّ، وأخيراً دراسة الاتجاهات الفلسفية، والنّزعة نحو الميتافيزيقيا، واستخدام اللُّغة الصُّوفية.

وقد اعتمدت هذه الدّراسة على المنهج التحليلي، الذي يقوم على سبر البُنية النَّصية، رغبةً في الوصول إلى فهم أثر الثقافة والتحولات الفكرية على البنية الفنية، وهو ما يساعد على تقديم صورة أوضح لمسيرته الشّعرية، ومن ثم ملاحظة تطوّر العناصر الأسلوبية والفنية التي شهدتها تلك التحولات.

وتأتي هذه الدراسة للمشاركة في تقديم حل جديد لمسألة تطوُّر محمود درويش الفنِّي، وتحولاته الشِّعرية، فقد اختلف النقاد وأصحاب الأيديولوجيات السياسية والمذهبية حوله، فمنهم من عدّه شاعر القضية والأرض في بِكرة أعماله[1]، ومنهم من رأى فيه الشاعر الذي أشاح بوجهه عنها، وركب سفينة التّأمل لذاته[2]، ومنهم من اتهمه بالتخاذل والعمالة[3]،

(1) انظر: النابلسي، شاكر، مجنون التُّراب، دراسة في شعر وفكر محمود درويش، بيروت- لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987م.

(2) انظر: المهداوي، صفاء، الأنا في شعر محمود درويش، دراسة سوسيوثقافية في دواوينه من (1995-2008)، إربد- الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2013م.

(3) انظر: أشقر، أحمد، التوراتيات في شعر محمود درويش، من المقاومة إلى التسوية، سوريا، قدمس للنشر والتوزيع، ط1، 2005م.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

وبعضهم رماه بالزندقة والانحراف العقدي[1]، ومنهم من برّر له توجهاته الشعرية الذاتية والإنسانية [2]. وقد ذهب تيسير أبو عودة إلى القول بأنَّ رحيله هو خسارة تعادل فقدان وطن بأكمله. شاعرٌ ومثقف عربي، موسوعيٌّ، اخترق المشهد الكوني بكل امتياز [3].

(1) انظر: الكحلوت، يوسف شحادة، جوانب الانحراف العقدي والأخلاقي في شعر محمود درويش، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، غزة، المجلد 19، عدد1، يناير 2011م.

(2) انظر: الجبر، خالد عبد الرؤوف، غواية سيدورى، قراءات في شعر محمود درويش، عمان - الأردن، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، 2009م.

(3) أبو عودة: تيسير، محمود درويش: الشاعر الكوني، مجلة أقلام الجديدة، عام 2008م، عدد 21 و22، ص33 - 35، ص33.

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في
أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

الفصل الأول

محمود درويش من الغنائية إلى الدرامية

قصيدة «تلك صورتها وهذا انتحار العاشق» أنموذجاً

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في ... رحطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في
أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

المبحث الأول

محمود درويش من القصيدة الغنائية إلى القصيدة الدرامية الطويلة

القصيدة الغنائية هي «وسط من الأوساط الأدبية، يصوِّر لنا تجربة محددة، عاشها شاعر معيّن، أهمُّ خصائصها أنَّها تجسيد لموقف إنسانيّ واحد، وتعبِّر عن الحالة النفسية والشعورية لشاعر واحد. ومن ثم فهي تجربة يخضع فيها الشاعر لأجواء خلقها لنفسه بمحض اختياره. فهي خُلاصة عناصر الفكر والشعور والوجدان، المتصلة بنفسية الشاعر وذهنيته وحد»[1].

أما الدراما فهي: «اصطلاح يطلق على أي موقف أدبي ينطوي على صراعٍ، ويتضمَّن تحليلاً له عن طريق افتراض وجود شخصين على الأقل. وهي شكلٌ من أشكال تصوُّر الفنَّان لقصةٍ، تدور حول شخصيات تتورط في أحداث معينة، وهذه القصة تحكي نفسها عن طريق الحوار المتبادل بين الشخصيات»[2].

وقد يبدو للوهلة الأولى عند قراءة التعريفين السابقين وجود تناقض بين الغنائية والدرامية، إلا أنَّ الواقع يقول بأنَّ الشعراء الدراميين بدؤوا حياتهم الشعرية غنائيين[3]. وأنَّ القصيدة الدرامية المتكاملة، تقوم على المزاوجة بين الغنائية والدرامية[4]. لكنَّ الفرق بين القصيدتين يكمن في عمليتي: الولادة والتطوُّر، فالغنائية: «وليدة الفورة الأولى من

(1) العشماوي، محمد زكي، دراسات في النقد المسرحي والأدب المقارن، القاهرة – مصر، دار الشروق، ط1، 1994م، ص42.

(2) ترحيني، فايز، الدراما ومذاهب الأدب، بيروت – لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1988م، ص67 – 68.

(3) الحكيم، توفيق، فن الأدب، بيروت – لبنان، دار الآداب، ط2، 1989م، ص5.

(4) عمر: البنية الدرامية في شعر محمود درويش، ص45.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

الإحساس في صدر الشاعر»[1]. كما أنَّها تقوم على فكرة واحدة، بسيطة التركيب. أمَّا القصيدة الدرامية، فلا تتكون من خيط شعوري واحدٍ، وإنَّما أصبحت، تُشكِّل «نسيجاً شعورياً متشابك الخيوط، سداه ولحمته مزيج غريب من المشاعر والأحاسيس والرؤى المتشابكة المعقدة»[2]. ولهذا فالقصيدة الدرامية ليست تعبيراً عن لحظة طارئة؛ لأنَّها واسعة المساحة، وتحتاج إلى عناصر بنائية كثيرة، شعرية ومستعارة من الفنون الأخرى كالنثر والموسيقى والمسرح والرواية وحتى من الفنون التشكيلية، فهي بحاجة إلى مهندس شعري خبير، يرسم مخططاً دقيقاً لخيوطها المتداخلة[3].

وأما بالنسبة لتطور محمود درويش من الغنائية إلى الدرامية فليس من الصعب على من يتصفح دواوينه الأولى أنْ يستنتج أنَّه، في ديوانه الأول «عصافير بلا أجنحة» الذي صدر عام 1960م، كان غنائيّاً مقلِّداً، حيث سار على طريقة النَّظم الكلاسيكية، لأنَّ أكثر قصائده عمودية بسيطة[4]. وتغلب عليها «الموسيقى العالية، والصور القائمة على الزخرف، والبلاغة المُتَّشحة بوشاح رومانسي»[5]. وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّه تخلَّى عن هذا الديوان، لِما وجده فيه من غضاضة شعرية، ومن الأمثلة الدالة هذه الأبيات من قصيدة «مرثية»[6]:

لملمت جرحك يا أبي

(1) المقالح، عبد العزيز، ثلاثيات نقدية، بيروت – لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات، 2000م. ص34.

(2) زايد، علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، القاهرة – مصر، دار الفصحى، 1987م، ص24 – 25.

(3) إحطوب، إسماعيل، النزعة الدرامية في ديوان بلند الحيدري «حوار عبر الأبعاد الثلاثة»، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، ط1، 2014م، ص49.

(4) الديك، فادي ساري، جراحات حيفا.. عذابات الكرمل، الشكل والمضمون في شعر محمود درويش، 1960 -1971م، عكا- فلسطين، مؤسسة الأسوار، ط1، 2003م، ص45.

(5) أبو مراد: الرمز الفني في شعر محمود درويش، ص54.

(6) درويش، محمود، الأعمال الشعرية الكاملة (1)، طبعة وزارة الثقافة الأردنية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2010م، ص24.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

برموش أشعاري

فبكت عيون الناس

من حزني.. ومن ناري.

وقد ذهب رجاء النّقاش إلى القول بأنَّ نشأة محمود درويش في أحضان الطبيعة قد أثّرت في شعره، وأنَّ فكرة ديمومة الطبيعة، واستمراريتها هي السبب الأصيل في ربطه الدائم بين الطبيعة وبين مسيرة شعبه النضالية[1]. ولعلَّ أول مظاهر هذا الاتجاه هو لجوؤه إلى أعماق الطبيعة، فقد اتُّخِذت وسيلةً لتعبّر عن قلق الجيل الفلسطيني، الذي غمره وضعٌ نفسي معين، جعله يشكُّ في كل شيء، كما أنَّ رومانسيته كانت تعبيراً صادقاً عن النَّفس الفلسطينية المعذبة[2]. ومن الأمثلة الدالة هذه الأبيات من قصيدة «أغنية ساذجة عن الصليب الأحمر» من ديوانه «آخر الليل»[3]:

يا أبي! هل غابة الزيتون تحمينا إذا جاء المطر؟

وهل الأشجار تغنينا عن النار، وهل ضوء القمر

سيذيب الثلج، أو يحرق أشباح الليالي

إنني أسألُ مليون سؤال

وبعينيك أرى صمتَ الحجر.

وبالإجمال ففي دواوينه الثلاثة: «أوراق الزيتون»، و«عاشق من فلسطين»، و«آخر الليل»، اتجه إلى كتابة شعر التفعيلة. وقد اتسمت لغته الرومانسية فيها بالغنائية الحزينة،

(1) النقاش، رجاء، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال، ط 2، دت، ص168-176.

(2) الحمداني: سالم، مظاهر الرومانسية في شعر محمود درويش، مجلة أدب الرافدين، جامعة الموصل، عدد2، 1971م، ص133- 141.

(3) درويش: الأعمال الشعرية الكاملة (1)، ص211.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

والسهولة، والوضوح، وبساطة التراكيب، واللـهجة الدافئة[1]. ولكـنَّ الأمـر بـدأ يختلـف شـيئاً فشيئاً، ففي ديوانيه «العصافير تموت في الجليـل» و«حبيبتـي تـنهض مـن نومهـا»، دأب عـلى تجديد معانيه، وتطوير العلاقات القائمة فيما بين أجزاء القصيدة، وكذلك الجمـع بـين بسـاطة اللّغة والصوت الهامس الشفّاف، والسَّعي بشغف نحو التّغيير في نمط القصيدة، وذلك بسـبب تأثير ثقافته التي بدأ يرتفع كعبها من حين إلى آخـر، حتـى تحـول بسلاسـة مـن البسـاطة إلى الغموض المفعم بالدّلالات[2]. ومن الأمثلة الدّالة هذه الأبيات من قصـيدة «كتابـة عـلى ضـوء البندقية» من ديوان «حبيبتي تنهض من نومها»[3]:

كان يأتي، آخر الأسبوع كالطفل إليها

يتباهى بمدى الشوق الذي يحملهُ

قال لها: صحراء سينا أضافت سبباً

يجعله يسقط كالعصفور في بلُّور نهديها

وقال:

ليتني أمتد كالشمس وكالرمل على جسمك،

نصفي قاتل والنصف مقتول.

إنَّ قدرة درويش على التجسيد الفنيّ، وخلق الصورة الحسيَّة - البصَريـة والسـمعية- قـد أضفت على قصائده بساطة عميقة، وأكسـبته دلالات فنيّـة ومضـمونية أوسـع، عـبر تقنيـات بنائية عالية، خاصةً بعد أنْ انتقـل مـن مرحلتـه الغنائيـة الأولى، مـا قبـل 1971م، إلى مرحلـة

(1) الشيخ، خليل، السـيرة والمتخيـل، قـراءات في نمـاذج عربيـة معـاصرة، عـمان – الأردن، دار أزمنـة، ط1، 2005م. ص174.

(2) انظر: علي، ناصر، بنية القصيدة في شعر محمود درويش، بيروت – لبنان، المؤسسة العربيـة للدراسـات والنشر، ط1، 2001م. ص41. وانظر:- أبو خضرة، سـعيد جـبر محمـد، تطـور الدلالـة اللغويـة في شـعر محمود درويش، عمان / بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2001م. ص32.

(3) درويش: الأعمال الشعرية الكاملة (1)، ص348.

محمود درويش من الغنائية إلى الكونية : دراسة تأويلية في التحولات الفكرية وعلاقتها بالبنية الفنية في
أبو حطب ، إسماعيل
Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

جديدة أكثر عمقاً وأصالةً، وهذا الانتقال لم يكن مصادفةً، بل هو نابع من ضرورات فنيّة وحياتية تتعلق بخروجه من فلسطين، ثم إدراكه الفنِّيِّ بأنَّ القصيدة الغنائية لم تعد قادرةً على التَّعبير عن تجربته المتطوِّرة، وإحساسه العميق[1].

ومن التقنيات الشعرية التي بدأ محمود درويش يُثري بها قصائده: التكرار، واستخدام الموروث الأسطوري، وتقنية الاسترجاع والتذكر، وتداخل الصور وتمازجها، واستخدام الرموز الفنيّة (التاريخية، الدينية، الشعبية)، واستخدام التقنيات السردية. ويمكن ملاحظتها بوضوح في قصائده: «جندي يحلم بالزنابق البيضاء»، و«الدانوب ليس أزرق»، و«مطر» و«رسالة من المنفى»، وغيرها من قصائد الدواوين السالفة الذِّكر[2]. وبين البساطة والغموض، كان يجمع بين اللُّغة الفصحى واللُّغة المحكيَّة، وكذلك يوفق بين التعبير التقليدي وجِدّة المضامين، مراهناً على خلق تركيب شعري ينقل الكثافة الدلالية بوضوح، بقدر ما يوفر للعمل الإبداعي من شعرية على مستوى عالٍ من الجمال. وهذه خطوة طيّبة أثبتت «أنَّ بالإمكان أنْ يكون الشعر عالياً وجماهيريّاً في الآن نفسه»[3].

ويمكن أنْ نميّز تجربة محمود درويش الشعرية عدة مراحل قابلة للتصنيف في مرحلتين أساسيتين: الأولى مرحلة درويش الشاب وترمز لها مرحلة قصيدة «سجل أنا عربي» وهي القصائد التي نشرها في دواوينه التي صدرت قبل عام 1972م وهي «أوراق الزيتون»، «عاشق من فلسطين»، «آخر الليل»، «حبيبتي تنهض من نومها»، «العصافير تموت في الجليل» وقد اتسمت هذه المرحلة بطفولتها التعبيرية والغنائية، التي تبث حيوية «تعبيرية» في الرموز المألوفة، وتتكاثف في مجملها حول الصور الوجدانية والتعبيرية المرتبطة برمز كُلِّيٍّ أشمل هو رمز الأرض في مواجهة المغتصب الصهيوني للأرض، والذي يمكن تسميته

(1) حديدي: زيتونة المنفى دراسات في شعر محمود درويش، ص57.
(2) علي: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص29 – 35.
(3) بلقزيز، هكذا تكلم محمود درويش، دراسات في ذكرى رحيله، مجموعة مؤلفين: تحرير عبد الإله بلقزيز، بيروت- لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2009م، ص129.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

قاموس الأرض: «الأرض، التراب، الشجر، الحجر، الصخر، البرتقال، كوفية الفلاح، البيارة» وهي مرحلة تعبيرية غنائية مباشرة، أما المرحلة الثانية فهي «أحبك أو لا أحبك» تحديداً قصيدة «سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا»، وهي آخر قصيدة تحول درويش من الغنائية البسيطة إلى الغنائية الملحمية المركَّبة المتعددة الأبعاد[1]. فلم تعد الخطابية والغنائية الطابع الغالب على قصائده، ولا المباشرة، بل أصبحت الصدارة للأساليب التعبيرية المتنوعة حيث اللغة الإيحائية والرمز، وأحياناً الانفتاح على الأنواع الأدبية الأخرى مثل القصة والمسرح والدراما والحوار والسرد القصصي[2]. ومن الأمثلة الدالة قصيدة «سرحان يشرب القهوة» من ديوان «أحبك أو لا أحبك»[3]:

وسرحان يكذب حين يقول رضعتُ حليبك، سرحان

من نسل تذكرة، وتربّى بمطبخ باخرة لم تلامس

مياهك. ما اسمك؟

- نسيت

وأمك؟

- نسيت.

وهل نمتَ ليلةَ أمس؟

- لقد نمتُ دهراً.

حلمت؟

- كثيراً.

(1) باروت، محمد جمال، مقال بعنوان «الرمز الديناميكي في أشعار محمود درويش» في بلقزيز: هكذا تكلم محمود درويش، ص58.

(2) علي، ناصر: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، 34 – 35.

(3) درويش: الأعمال الشعرية الكاملة (1)، ص99.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218

وقد عُدّت قصيدة «سرحان يشرب القهوة في الكافيتيريا» «خطّاً فاصلاً بين القصيدة الغنائية ذات الصوت المفرد والقصيدة المركبة التي تشير إلى آفاق متشعبة»[1]. فهي تُشكِّل منعطفاً فنياً هاماً في شعر درويش؛ لأنَّها تشكيل فنِّي من نوع جديد من القص الشعري، حيث يرسم الحدث والشخصية بشكل تدريجي، لا بداية لها ولا نهاية، يختلط فيها الزمن بين الماضي والحاضر والمستقبل، في حالة درامية مستمرة، إذ تقوم وسط فعلٍ محدد هو «القتل المزدوج» وهذا الفعل يثير الذاكرة، ويتوق إلى الحلم، كأسلوب للخلاص من الكابوس[2]. وكذلك فهي تنهض على عنصر المفارقة والسخرية، وعلى التكثيف الدلالي والرمز، وعلى السرد الحكائي المكثف والحوار الدرامي، وتراكم الصُّوَر التي تتوالد من بعضها، وفي النهاية، فإن سرحان هو رمز جمعي للشعب المضطهد[3]. فقد استطاع فيها درويش أنْ «يحقق طموحه في التعبير عن التراجيديا الفلسطينية مع التطوير الشكلي للقصيدة العربية المعاصرة، وذلك عبر ابتداع صوَر مركَّبة، يندغم فيها الحسيُّ بالتجريدي»[4]. «فبعد أنْ كان يتألم، ويغني آلامه وآلام شعبه بصوته، أدخل أصواتاً أخرى إلى القصيدة، وبذلك اقترب من الموضوعية»[5].

(1) الشيخ، خليل: السيرة والمتخيل، ص176.
(2) حديدي، صبحي: زيتونة المنفى دراسات في شعر محمود درويش، ص58.
(3) عمر، رمضان: البنية الدرامية في شعر محمود درويش، ص70 – 77.
(4) علي، ناصر: بنية القصيدة في شعر محمود درويش، ص133.
(5) علي، ناصر: سرحان يشرب القهوة، مجلة أفكار، عدد 182، عام 2002م، ص142.

Al Manhal Platform Collections (https://platform.almanhal.com) - 09/09/2025 User: @ House of Wisdom
Copyright © Alaan Publishers and Distributions. All right reserved.
May not be reproduced in any form without permission from the publisher, except fair uses permitted under applicable copyright law. https://platform.almanhal.com/Details/Book/263218